مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

تقرير الندوة الثالثة
مختبر التنمية الثقافية

معارض الكتب والفعاليات الثقافية: الجدوى والتأثير

د. شرف المزعل
مشرفة مختبر التنمية الثقافية

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

عقدت هذه الندوة بتاريخ 19/9/2023م وتمثل الضيوف المشاركون في كل من:

1. أ. عبد الوهاب العريض من السعودية، وهو الرئيس التنفيذي لشركة المحترف السعودي، ونائب رئيس تحرير صحيفة آراء السعودية الإلكترونية.
2. أ. محمد العتابي من العراق، وهو شاعر وسيناريست مؤسس وشريك في مكتبة ومنشورات تكوين.
3. أ. علي القميش من البحرين، وهو صحفي وكاتب ومصور فوتوغرافي.

أهم ما طرح ودار في هذه الندوة:

بعد ترحيب الدكتور زيد الفضيل، مدير البرنامج الثقافي والإعلامي في مركز الخليج للأبحاث بجدة، بالمشرفة على الندوة وبالأعضاء الضيوف، قامت مشرفة الندوة الدكتورة شرف المزعل المشرفة باستعراض عنوانها ومحاورها، وتقديم السير الذاتية للأعضاء، حيث تم 3 محاور، وهي:

1. الآثار الثقافية لإقامة المعارض الدولية وتطور الذهنية الخليجية.
2. القراءة بين الأفراد والجماعات: من النمط إلى التجديد.
3. أنواع الكتب المتداولة ومدلولاتها على أرض الواقع.

وبطبيعة الحال، افتتحت الدكتورة المزعل بتساؤلين عن المحور الأول، من بينه: هل أثرت المعارض التي تقام في دول الخليج العربية على ذهنية الفرد الخليجي؟ مع العلم أنها بدأت منذ السبعينيات في البحرين والكويت، وأعقبتها دول الخليج، والآن تقام بشكل منتظم، ولربما اتسعت رقعة المعرض مساحة ومضمونا من دولة خليجية لأخرى، فهل نلمس أثرا لتطور الذهنية للفرد الخليجي، هذا إذا ما وضعنا بعين الاعتبار كل هذه السنوات من انتظام إقامة المعارض؟

ويجيب الأستاذ العتابي بأن حركة المعارض في دول الخليج العربي منذ أن انطلقت في السبعينيات، كان لها الأثر الإيجابي في حركة الأفكار، خصوصا في تلك الفترة التي لم تكن فيها وسائل الاتصال بالصورة الحالية، فكانت حركة الأفكار غالبا ما تنتقل عبر الصحف، والمجلات، والكتب، وأيضا لم يكن من السهل الحصول على الصحف بالشكل اليومي، ولا العناوين المطلوبة من الكتب بالسهولة الحاضرة اليوم.

أما المعارض، فكانت تشكل متنفسا للباحث عن المعرفة، حيث تشارك فيه دور النشر من الخليج للمحيط من الدول العربية بأفكارها وخلفيتها المختلفة في شتى المجالات من أدب، وفكر، وسير، وفنون، وغيرها. كما يصادف أن أصحاب دور النشر والتوزيع يتبنون أفكارا سياسية وتقدمية، مما يجعل من أيام المعرض ليست لبيع الكتب فقط، بل تمثل محطة تسهم في التقدم بوصفها حاملة للمنجز الفكري في الكتب والأفراد من رواد المعارض. كما أن إقامة الفعاليات على هامش المعرض (الأقرب للمؤتمر)، وما يحدث آنذاك من تداول للأفكار، يؤدي للتواصل اللطيف، أو البريء، أو غير

البريء فيما يخص تداول قضايا خارج الأطر الرسمية والمنهجية، وكل ذلك يسهم في تطوير الذهنية للفرد الخليجي.

بينما يؤكد الأستاذ العريض على طرح الأستاذ العتابي، ويضيف أن معرض الكتاب يعتبر عرسا ثقافيا، تتلاقح فيه الأفكار، وهو ملتقى فكري شامل على كافة الأصعدة المعرفية، والسياسية، والثقافية بمفاهيم عربية وأجنبية، حيث اهتمت بعض دور النشر بترجمة الكتب الأجنبية، وكانت تساهم في تحقيق الكثير من التحولات في ذهنية الفرد الخليجي (بالرغم من سوء الترجمة)، إلا أن الاهتمام المتزايد بهذا الصنف من الكتب جعل بعض دور النشر تتحمل مسؤولية إعادة ترجمة بعض الكتب بجودة أعلى، ومن أمثالها "مؤلفات هيغل"، ويعتبر معرض الرياض الدولي للكتاب مثالا حيا على زخم الحضور للمهتمين بالمعرفة والاطلاع من المثقفين.

وفي هذا الصدد، تتساءل الدكتورة المزعل حول ما هو دور العرب في ترجمة المنجز العربي؟ ألسنا مسؤولين عن نقل صورة الفكر العربي للغرب؟ وما حجم ترجمة الكتب العربية للأجنبية؟ ومتى سينتهي دور العرب كمتلقين للمعرفة فقط؟

ويرد الأستاذ العريض إن هذه المسألة لا تزال غير جادة، ولا نزال ضمن المعادلة القديمة التي تقول: بيروت تطبع والعراق تقرأ؛ رغم أن هذه المعادلة اختفت في الوقت الحالي. ويجيب الأستاذ العريض على تساؤل الدكتورة المزعل بما تقوم به الإمارات العربية المتحدة، وما تقوم به "دار كلمة" من ترجمة الكتب الأجنبية، حيث تجاوز عدد الكتب المترجمة أكثر من 3000 كتاب. كما احتضنت المملكة العربية السعودية مشروعا للترجمة، وحصدت مكانا متقدما في أكثر الدول ترجمة عام 2022، وكذلك تقدمت البحرين على صعيد الترجمة، حيث تعتبر الدولة الثالثة في الترجمة على مستوى العالم العربي، فقد أنتجت الشيخة مي آل خليفة "سلسلة المعرفة"، وهي من أهم الكتب التي ترجمت في العالم العربي، كما تم ترجمة كتاب "تاريخ الفن"، الذي يمثل أهم كتاب للمثقف يعتني بالفن.

إذًا، لم تعد دول الخليج العربي في الصفوف الخلفية في عملية نقل المعرفة والترويج لها، وعلينا أن نعيد صياغة أنفسنا كمثقفين خليجيين من خلال معارض الكتاب، ونقدم أنفسنا بالنسخة الحالية، حيث إننا لم نعد مستهلكين فقط، بل منجزين للأفكار والأدب، والفن، والاعتناء بترجمة الموروث الأجنبي للغة العربية، ومن ثم فعلينا أن نغير مفرداتنا في الفترة القادمة لتصطبغ بواقعنا الحالي، فإننا نمثل سوقا منتجا للمعارف.

وعلى النقيض من ذلك، يرى الأستاذ القميش أن هنالك مفارقة في موضوع ترجمة المنجز الأجنبي، فبينما تقدمت دول الخليج العربي في مسألة ترجمة المنجز الثقافي الأجنبي للغة العربية، إلا أنها لا تزال تراوح نفسها في ترجمة المنجز العربي للغات الأجنبية، بل إن هذه المسألة اتخذت طابع

المعضلة، فبالرغم من وجود الفكرة وصياغة المشروع (تحت مظلة مقررات مجلس التعاون لدول الخليج العربية)، إلا أن هذا المشروع محفوظ في بطون الأدراج حتى الآن!

وهناك محاولة إحياء للفكرة عبر هذا المختبر، حيث إنه يتوقع من الشخص المنتسب للمؤسسات الثقافية في دول المجلس أن ينقل الفكر العربي الخليجي عبر ترجمة كتب الأدب والفكر الخليجي، سعيا لتغيير الصورة النمطية في ذهنية الآخر حين تبرز صورة أبناء الخليج بأن إسهامهم ضعيف في المشاركة الفكرية، والأدبية، والفنية، التي تسهم في تقدم المجمع الخليجي، بل نحن نوسم في بعض الأحيان بقلة الاهتمام بعالم المعرفة والفكر، ولذا يجب علينا تحمل المسؤولية في ترجمة المنجز الفكري، والثقافي، والأدبي، والفني الخليجي.

كما علينا أن نواجه واقعنا الثقافي، ونعترف بوجود الكتب الرديئة، وعلينا أن نبتكر الآلية المناسبة لتحسين المنجز الثقافي مع الانتباه إلى التجارب الأولى للكتّاب الذين يحتاجون لتوسيع الساحة لهم؛ ليتقدموا فيما ينجزوه، ويحسنوا مستوى ما يقدموا من معارف مطبوعة مع تراكم التجربة لديهم.

بينما يفرق الأستاذ العريض بين مسؤولية المثقف الخليجي ومسؤولية المؤسسات الحاضنة للثقافة والمعارف في دول الخليج العربي. وبالنظر إلى المبادرة الجارية في المملكة العربية السعودية، والتي تتمثل في ترجمة الكتب العربية للغات الأجنبية، فقد قطعت هذه المؤسسات خلال الخمس سنوات الفائتة شوطا كبيرا، وغدت مدعاة للفخر والاعتزاز، إلا أن الثغرة تكمن في أن هذا العمل قد تم إنجازه في المحيط الجغرافي الداخلي، في حين يجدر أن يكون النشر لهذا المنجز في العالم الخارجي؛ أي في السوق الفكرية العالمية خارج جغرافية شبه الجزيرة العربية، وذلك بهدف تحقيق الانتشار للصورة العربية التي نتحمل إيصالها للآخر بما نراه عن أنفسنا من خلال ترجمة كتبنا.

وانتقل الحديث إلى المحور الثاني، حيث تشير الدكتورة المزعل أن في البحرين كانت مجموعات القراءة نادرة ومغلقة ولأشخاص محدودي العدد (وتقتصر المجموعة على الذكور تقريبا)، كما أن طابع العلاقة بين المشاركين في المجموعة القرائية يكاد يقترب من علاقة الأستاذ بالطالب، أما في الوقت الحالي، فقد برزت الكثير من المجموعات القارئة بصورة ملحوظة، وتشير هنا الدكتورة المزعل إلى "نادي البحرين للقراءة" عام 2008، وإلى "سقف البنفسج" الذي تأسس في مارس 2011، والذي لا يزال حتى هذه اللحظة قائما بصورة شهرية منتظمة، ويناقش كتابا بعد قراءته، وهو كان أول فريق من نوعه في البحرين؛ حيث يقرأ جميع الأعضاء الكتاب، ثم يعرض للمناقشة. كما يمثل الفريق أول مجموعة قرائية في البحرين أسستها امرأة، ثم توالت المجموعات.

وتسأل الدكتورة المزعل: هل لهذه الظاهرة مؤشرات حية في الواقع الخليجي؟

ليرد الأستاذ القميش ويشير إلى أنه نمط جديد تشكل في مجتمعات الخليج العربي، وأن ظاهرة المجموعات القرائية بالرغم من إنها تبدو حاله استعراضية يبرز فيها أفراد من الطبقة المخملية، إلا إنها ظاهرة حسنة، ولها أن تترك أثرها الإيجابي من منطلق إن أي اتصال بالكتاب لابد له أن يحدث فارقا في ذهنية الفرد الخليجي، فلا يمكن الاستهانة بحالة اتصال الفرد بالكتاب، بلحاظ أنه جهد أفراد خارج مظلة المؤسسات الحاضنة للثقافة، ولذلك فإن مخرجاته متفاوتة بحسب المستوى الثقافي والتحصيل العلمي للمتلقي، ونحن هنا لسنا بصدد تقييم الأفراد، بل لنرصد واقع اتصالنا بالكتاب والقارئ.

وفي ذات السياق، يرى الأستاذ العريض أن في المملكة العربية السعودية كانت مجموعات القراءة حاضرة منذ التسعينيات حتى عام 2003، لكنها كانت محدودة جدا ومقتصرة على النخب. فقد حضر الأستاذ العريض – حسب سرده – إلى حلقات نقاشية في البحرين لمجموعة من الشباب النهمين في القراءة، وكان الملفت أن أعمارهم لا تزيد عن 26 عاما، ولكنهم حين يقرؤون تجدهم يعيشون زمن المؤلف. وقد مرت هذه المجموعات بحالة أنطلق عليها الأستاذ العريض "مرحلة الآباء الثقافيين"، على غرار العلاقة التقليدية بين الأستاذ والطالب، إلا انها اتسعت مع مرور الزمن وصارت تيارات متعددة، والآن نجد ذات النموذج في السعودية، من مثل "مختبر الفلسفة" في الرياض، ويمكننا القول بأننا دخلنا مرحلة التنوير، ولا شك بأن لمعرض الكتاب أثرا بارزا في قيام هذه المجموعات واتساعها.

ويعقب الأستاذ العتابي على طرح الأستاذ العريض، مشيرا إلى أن مجموعات القراء كانت قليلة وضعيف التواصل؛ مما أدى إلى ضعف حركة الأفكار التي كانت تعتمد على الحضور الشخصي، وقد طورت تلك المجموعات حركة الأفكار لتصل إلى النقد الثقافي (وتحديدا مع بعض المثقفين البحرينيين)، وقد شملت الحركة النقدية الأدب أيضا؛ مما أسهم في ربط الأدب بمسارات أخرى في الواقع الثقافي لكي تفسر وتقيس ما يعيشه الإنسان من معاناة يومية.

وبالرغم من بعض الظواهر غير الإيجابية بالشكل المباشر، إلا أن الأستاذ العتابي – حسب وصفه – بكونه شخصا متصلا بشكل مباشر بدار نشر ومعرض كتب دائم، فقد لاحظ نوع وحجم التغير لدى القارئ، ومسارات تطوره من عام لآخر من خلال نوعية اختيار الكتب، ومدى الاستمرارية في الحضور. ومن هنا يمكننا قياس حجم التراكم المعرفي لدى الفرد الخليجي، وقد انعكس ذلك على زيادة المجموعات القرائية في المنطقة.

ويجد الأستاذ العتابي أن هذه المجموعات ساهمت بشكل واع أو غير واع في تسارع نضوج الفرد الخليجي بوصفة قارئا أو مشاركا فقط في حضور هذه التجمعات، فهذه التجمعات تمنح الكتاب أكثر من مجرد قراءة في وقت المناقشة بواقع عدد المتداخلين على فكرة الكتاب.

كما أكد الأستاذ العتابي على أثر الكتاب الإيجابي، حتى وإن بدا في أول صورة كإكسسوار لحامله، إلا أن هذه الصورة تفعل عملية الترويج للقراءة؛ مما يخدم حركة الكتاب، وينافس الملهيات في مجتمعات الخليج العربي، وقد أسعفت حركة الكتاب المتسارعة مشروع الابتعاث الذي تبنته السعودية.

وأخيرا انتقل الحديث إلى المحور الثالث، حيث تساءلت الدكتورة المزعل عما هي ملاحظات الضيوف عن مدلولات الكتب المتداولة، وأنواع العناوين، ومدلولاتها بعصر العولمة ووسائط التكنولوجيا؟ إذ نلاحظ في الخليج ارتباط الظروف والمتغيرات بعناوين الكتب المتداولة، من مثل رواج العناوين التي تحمل مفاهيم العدالة، والحرية، والمساواة في الخمسينيات من القرن العشرين على واقع ظروف حركات الاستقلال في العالم العربي، ونجد لظهور النفط أثرا في الواقع الاقتصادي وانعكاسه على الواقع الثقافي، كما أن السبعينيات حملت أيديولوجيات دينية، واشتراكية، وقومية انعكست على المشهد الثقافي، واتصلت مباشرة بعناوين تلك الكتب المتداولة.

ويلاحظ الأستاذ العتابي أن هذا الموضوع متشعب ودقيق وحساس، حيث يمتد الزمن بالكتاب من حركات الاستقلال إلى المد اليساري، والقومي، والصراع الإسلامي حتى سقوط الاتحاد السوفيتي، ووصولا لغزو الكويت، حيث تساقطت الكثير من الأفكار مع انهيار الأيديولوجيات الكبرى، مع أن سقوط الاتحاد السوفيتي لا يعني بالضرورة سقوط الفكر اليساري، وكذلك فإن سقوط التيار القومي لا يعني سقوط فكرة القومية، ولكن سقوط مفاعيل هذه الأفكار الكبرى التي حدثت في العالم، وبزوغ فكرة نهاية التاريخ لفرانسيس فوكوياما (التي أثبتت فشلها)، أدى ذلك إلى أن يصبح الفراغ هو السمة البارزة للفترة الحالية؛ مما حدى بجيل الثمانينات والتسعينات لأن يقرأ هذه الأفكار بطريقة متصالحة أكثر، أي أنه يقرأ الفكرة بدون تبعاتها الضاغطة، وبدون ما تحمله مسؤولياتها؛ مما يتيح له الرؤية لوجهات نظر الآخر بشكل أوضح، والتعرف على جذور الأفكار دونما تبعات لها عليه، ولربما هذا ما أدى إلى شبه انحسار للعناوين السياسية والاقتصادية لصالح العناوين الأدبية، وتوأمتها مع الظروف المجتمعية.

ويجد الأستاذ العتابي أن هناك عودة لقراءة الكتب الاقتصادية رغبة عند المتلقي لفهم حركة الاقتصاد العالمية والجيوسياسية، والتي باتت تؤثر على جميع الأفراد في حقبة العولمة التي نعيشها اليوم.

وعلاوة على ذلك، يشير الأستاذ القميش إلى تعدد عناوين الكتب بحسب تعدد المتلقي نفسه، حيث كانت الظروف توجه النص صوب الحدث أو التيار المؤسس للظرف المعاش، فقد سطت العناوين المتعلقة بالمد اليساري على فترة السبعينيات مثلما سطت عناوين الخطاب الديني على أعوام الثمانينيات، وفي المقابل كان القراء أيضا يجرون مؤلفي الكتب باتجاه أنواع العناوين المفضلة لديهم، حيث تلونت تلك العناوين بحسب التوجهات السياسية للقراء، وما يستتبعها من ظروف من

مثل فترة قيام الثورة الإسلامية في إيران عام 1979 وصراعها مع المد اليساري، فقد شكلت تلك الصراعات تحفيزا للنص والنص المضاد، وكذلك للنص والنص التابع، وتزايدت النصوص الداعمة لكل تيار.

كما أن وجود أكثر من تيار متباين، كالإسلامي، واليساري، والليبرالي قد أحدث توازنا في أعداد المتلقين من التيارات المختلفة، وهو ضرورة ضمن سيرورة التحولات الفكرية في المجتمع. ويضيف الأستاذ القميش أن أغلب عناوين الكتب كانت متاحة بشكل يمكن للمتلقي الحصول على ما يبحث عنه.

وفي الختام، يرى الأستاذ العريض أن هناك تغيير ملحوظ على مستوى الانتشار للكتاب الخليجي، حيث كان الكتاب يصل للنخب فقط، بينما اتسعت المساحات اليوم، وتعددت توجهات المتلقي الذي يحمل الكتاب ذاته مع ملاحظة زيادة عدد الكتاب الخليجيين. ومهما كانت لدينا من ملاحظات على بعض المنجز من الكتب، إلا أن الكتاب الأصلح والأقوى سوف يبقى، وسوف يتساقط الكتاب الأضعف. مشيرا إلى مشكلة أخرى تتمثل في ظهور بعض الكتب التي تقلل من أهمية المجتمع، أو تروج لقيم غير ثابتة فيه كقيمة حاضرة بقوة في المجتمع، إلا أن مثل هذه الكتب تظهر كبريق خاطف ما يلبث أن يزول.

أبرز التوصيات الصادرة عن الندوة:

1. يجب وضع خطة واضحة الأهداف في موضوع ترجمة المنجز الثقافي العربي للغات الأجنبية خارج الحيز الجغرافي للدول العربية، من مثل إقامة تعاقد بين المؤسسات الحاضنة للفكر في دولنا مع دول أجنبية كأمريكا، أو بريطانيا، أو فرنسا لضمان الانتشار الثقافي في المجتمعات الأخرى؛ بهدف تقديم صورة الفكر العربي الخليجي للذي يتبنى صورا نمطية غير واقعية للمجتمعات للخليجية.
2. وضع رؤية تتبناها المؤسسات الحاضنة للثقافة، وتشمل جميع القراء في منطقة الخليج العربي.
3. التركيز على ترجمة المنجز العربي للغات أجنبية.
4. توفير أداة موثوقة لقياس تطور علاقة الفرد الخليجي بالكتاب وأنواعها.
5. تشجيع المزيد من المبادرات من الجهات الرسمية والقطاع الأهلي الداعمة لحركة الكتاب.
6. دعم حواضن الشباب المؤسساتية أو الأهلية والخروج من الشللية.
7. تأسيس لجان لتحكيم النصوص قبل طباعتها؛ مما يدعم النصوص الناشئة والجديدة.
8. تحقيق الانتظام في إقامة معارض الكتب الدولية والمحلية.
9. التنسيق مع اتحاد الناشرين العرب لإقامة الفعاليات الثقافية المصاحبة لمعارض الكتب.
10. تشكيل لجان عبر المؤسسات الرسمية لتحكيم الأعمال المترجمة من اللغات الأجنبية للعربية، وكذلك من اللغة العربية لباقي اللغات.
11. تأسيس شراكة مع دور النشر الأجنبية لإصدار الكتب المشتركة.

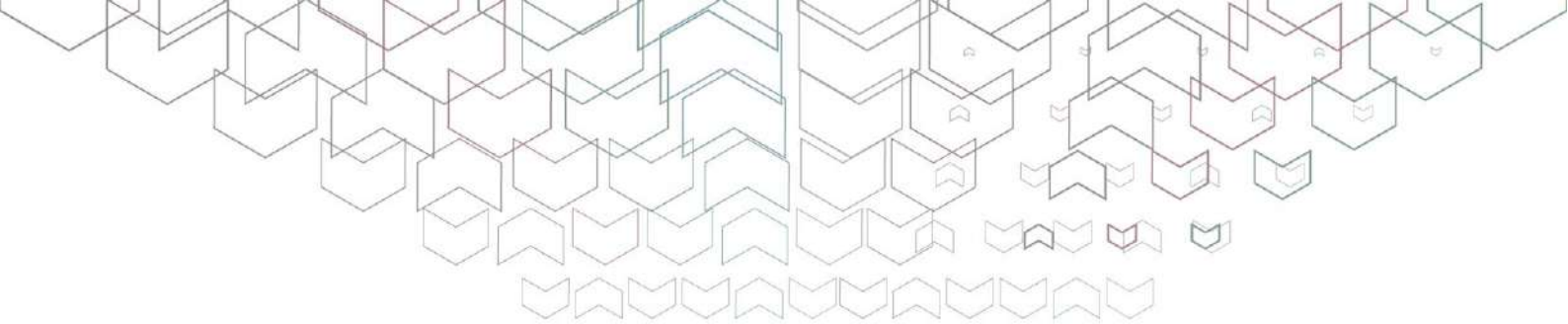

مختبر الحوار الخليجي
Gulf Dialogue Lab

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

© جميع الحقوق محفوظة لمركز الخليج للأبحاث وشركة المعرفة